جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

المرحلة: دكتوراه التاريخ الحديث

المادة: تاريخ الدولة العثمانية

العام الدراسي: ٢٠٢٣/٢٠٢٤

عنوان المحاضرة

النشأة العسكرية والدينية للدولة العثمانية

مدرس المادة

الاستاذ الدكتور يوسف عبد الكريم طه مكي الرديني

النشأة العسكرية والدينية للدولة العثمانية

كان العثمانيون منذ نشاتهم الأولى يتميزون بطابعهم العسكري ،لان مجتمعهم القبلي كان في حرب دائمة ،بل ان حركتهم باتجاه الغرب ترجع الى تلك الطبيعة ،بوصفهم جماعات قبلية سكنت في أواسط أسيا الصغرى منذ القرن السادس الميلادي ،برزت نزعتها العسكرية بسبب الظروف الصعبة المحيطة بها ، ثم تطورت أساليب العمل العسكري في هذه الجماعات بمضي الزمن وأصبح لها تقاليد عسكرية راسخة أسهمت في بناء دولة كبرى ،ثم صارت من أهم عوامل انهيارها فيما بعد.

التنظيم العسكري القبلي العثماني في الأناضول :-

لكي نفهم الظروف التي أحاطت بنشأة الدولة العثمانية والمؤسسة العسكرية فيها علينا ان نتتبع أحوال الحدود بين الدولة البيزنطية في البلقان واسيا الصغرى إذ أدت الحروب المستمرة بين الجانبين الى ظهور تنظيم عسكري ذي طابع خاص على جانبي الحدود،فقد تشابهت أوضاع مناطق الثغور على كلا الجانبين حيث كان السكان يواصلون القتال بالحماسة الدينية نفسها لدى الطرف الأخر .

كانت الغنائم توفر للثغور القاعدة الاقتصادية للحياة، فقد تزايدت العناصر المقاتلة التي كانت تفد الى مناطق الثغور من أقصى البلاد على جانبي الحدود ، اوجد ذلك الوضع خليطا من الجنسيات واللغات اضافة الى إيجاد عشائر محاربة مخلصة لزعمائها وتطمح الى أقصى درجات الاستقلال .

وفي أوائل القرن الحادي عشر الميلادي اشتد ساعد المجاهدين الذين كانوا يهاجمون أراضي الدولة البيزنطية وذلك لان قسما من العنصر التركي ممن هاجر في حركة الاوغوز الكبرى التي قادها السلاجقة قد انضموا الى الدولة السلجوقية الجديدة بوصفهم طبقة محاربة يتمتعون بالاقطاعات ،إذ كان المجاهدون قبل معركة ملاذ كرد التي أوقع السلاجقة الهزيمة بالقوات البيزنطية عام ١٠٧١م وفي إعقاب تلك الهزيمة أصبحت إمارات الحدود البيزنطية تتجه نحو الانهيار إذ اندفع المجاهدون نحو الاستيلاء على المدن الواقعة قرب الحدود ،وقد أقام التركمان المغيرون الذين افلتوا من سيطرة السلاجقة بقيادة التوسع الجديد صوب شواطئ بحر ايجة وبحر مرمرة .

وبعد اســتيلاء هولاكو على بغداد عام(٦٥٦هـــــ-١٢٥٨م) حدثت تداعيات في المحيط القريب فقد توجهت قبائل كبيرة من الأتراك فضــلاً عن فلول الجيوش المنحلة ، صــوب قونية التي عمدت بوجه عام الى توجيه الفارين صـــوب الأراضـــي الرعوية في مناطق الحدود حيث ازدادت إعداد العناصـــر المعادية لدولة السلاجقة ،وكانت نتائج اكتساح جنكيز خان لأراضي خوارزم شاه عام ١٢٢٠م (بروز) قبيلة (قايي) إحدى قبائل الغز التركية المعروفة إذ كانت برئاســة ســليمان شــاه ويلقب (كندوز ألب) بن قيا ألب إذ كانت تضــم قرابة ألف فارس توجهوا الى بلاد الأناضــول فاســتقروا في (أخلاط) ثم توجهوا بعد ذلك الى قلعة جعبر وإثناء عبورهم نهر الفرات غرق في النهر ،وكان له أربعة أبناء انقســمت وجهاتهم بين العودة الى ديارهم في أســيا الصغرى والتوجه نحو الأناضول إذ نجح ارطغرل مع أربعمائة فارس بالتوغل في أملاك السلطان علاء الدين (كيخسرو الثاني)(١٢٣٦-١٢٤٦م) سلطان قونية ، بعد ان نال رضا السلطان ، وبعد مرور الوقت تم تثبيت وجودهم عند الأراضــي المحاذية للأراضــي البيزنطية إذ امتدت من يكي شــهر الى قونيا تقريبا وكانت مساحة الأرض التي منحها الســلطان علاء الدين تقدر بحوالي إلفي كيلو متر مربع اســتطاع ارطغرل ان يزيد عليها مســاحة ثمانمائة كيلو متر مربع ، رغم تلك النجاحات كان عام ١٢٨٠م عاما مهما فقد توفي ارطغرل وتولى من بعده ابنه عثمان الحكم .

الدولة العثمانية في عهد السلطان عثمان (١٢٨٨ – ١٣٢٦م)

يعد عهد النشــوء من العهود المهمة في تاريخ الدولة العثمانية ، فهو عهد تأســيس الدولة ونشــأتها وتطور نظم الحكم والإدارة فيها ، وحكم خلال هذا العهد ستة خلفاء هم :

بعد وفاة أرطغرل عن عمر ناهز التسعين عاماً في سنة ١٢٨٨م، خلفه ابنه الأكبر (عثمان) الذي عينه السلطان علاء الدين، وسلّمه شارة الجهاد والسيف بواسطة رئيس المشايخ الصوفية بوصفه غازياً مجاهداً، فأصبح سيفه تقليداً للبيعة من بعده، وسميت الدولة باسمه.

ذكر اغلب المؤرخون أن عثمان تولى زعامة القبيلة في عام ١٢٨٠م بعد وفاة أبيه ارطغرل بناءا على رغبة السلطان السلجوقي علاء الدين (كيخسرو الثاني)١٢٤٦-١٢٨٣م. وقد باشر عثمان مع إفراد قبليته في مجاهدة البيزنطيين وعمل على تقوية كيان العثمانيين

أدى ضعف دولة سلاجقة الروم الى نقل السلطة الى إطرافها إذ أخذت إمارات تركية صغيرة تعمل على الاستقلال عن سلطة السلاجقة بحيث عجز سلطان قونية عن الحيلولة دون مهاجمتها لمناطق الثغور البيزنطية إذ أدى الغزاة دوراً أساسيا في شن هذه الهجمات الجديدة ،وفي مطلع القرن الرابع عشر الميلادي كانت الدولة السلجوقية قد فقدت غربي الأناضول الذي توزع على إمارات الغزاة الأتراك إذ قيض لإحدى إماراتهم –العثمانية – ان تسعى الى دولة عالمية مرتكزة على مؤسستها العسكرية القوية ، وبذلك عم طابع الغزاة إمارات الأناضول حيث أقرت (الفتوة) التي أقامت عليها هيأت إسلامية مختلفة وهي بمثابة قانون يقوم على ممارسة توجيه أسس الفضيلة على وفق تعايم الإسلام لها ،وكان نشاط الفتوة في القرنين الثالث والرابع عشر مقتصرا على تنظيم السكان داخليا وفي إبراز سمة التماسك في اطار المدينة وفي الإدارة .

ونتيجة لذلك استفادت إمارة عثمان من منظمات الفتوة والاخية أكثر من غيرها بفضل المميزات التي تمتعت بها لذلك تحولت حركة الغزاة الشعبية الى نظام شبيه بنظام الفرسان في أوربا في العصور الوسطى وكانت طقوس تنظيم (الغازي) تشبه في بعض ملامحها طقوس تنظيم فرسان أوربا الغربية كما تميز الغازي عن بعض السكان بلباس خاص على شكل قلنسوة بيضاء يرتديها غزاة ثغور غربي الأناضول .

هكذا كانت الإمارة العثمانية ميدانا رحبا لوجود فئات والاخية والفتوة الذين أدوا دورا في النشأة العسكرية للدولة العثمانية،وبعد وفاة السلطان السلجوقي علاء الدين (كيخسرو الثالث)عام ١٢٨٣م وتعرض دولته الى الضعف جراء الفتن الداخلية ولعدم وجود خليفة له فقد استغل عثمان تلك الظروف واستطاع بهمته العسكرية الاستئثار بالمقاطعات التي كانت تحت حكم كخسرو الثالث واتخذ مدينة يكي شهر عاصمة له ولقب نفسه باد شاه أل عثمان وبدا تنظيم البلاد وبذلك ظهرت البداية الحقيقية للدولة العثمانية ومؤسساتها العسكرية .

بدا التنظيم العسكري الحقيقي الأولي للعثمانيين في عهد عثمان الذي عمل على توسيع ارض إمارته في الأناضول نظرا لانه كان يعد نفسه غازيا ومجاهدا في سبيل توسيع أراضي المسلمين مثله مثل بقية سكان الإمارات والمقاطعات التركية المتاخمة لحدود المدن البيزنطية وقد توج نشاطه العسكري بتأسيس الدولة عام ١٢٩٩م بعد استيلائه على أهم ممتلكات البيزنطية وبعض الإمارات التركية التي تحالفت مع المغول ضده وتخذ من حصن بورصة عام ١٣٢٦م عاصمة له.

يظهر لنا مما تقدم ان القبائل العثمانية كغيرها من قبائل الحدود في ذلك العصـــر الإســـلامي كانت في مقدمة الخطوط العسكرية السلجوقية في صراعها مع القوات البيزنطية، وتركزت المهمة الأساسية لتلك القبائل في غزو القرى والمدن البيزنطية وكســـب المزيد من الغنائم التي كانت مورد رزقها الأول لهذا برع العثمانيون في التنظيم العسكري واقتبسوا منذ البداية الأساليب العسكرية الإسلامية ثم تعلموا كثيرا من الأساليب العسكرية البيزنطية وطوروها فأصبحت الأساس الذي قامت عليه مؤسستهم العسكرية فيما بعد.

ان التوسـع العسـكري العثماني مر بمرحلتين متميزتين طبقا بصـورة تكاد تكون منظمة ففي البداية كان العثمانيون منذ نشـأة دولتهم يسـعون الى فرض نوع من السـيادة على الدول المجاورة ثم يتجهون بعد ذلك الى فرض سيطرتهم المباشرة على البلدان بالقضاء على أسراتها الحاكمة ، وكانت سيطرة العثمانيين المباشرة تعني في جوهرها تطبيق نظام التيمار (الإقطاع الحربي) الذي كان يقوم على التســـجيل المنتظم لســـكان المنطقة ومواردها في دفاتر .

وقد أتيح للدولة العثمانية حين نشـــاتها الأولى في منطقة جبلية في غربي الأناضـــول منفتحة على بحر مرمرة وتشوبها الحرية النسبية تنظيم عسكري اجتماعي متحرك هيا لها فرصة كبيرة للنمو والقوة .

الدولة العثمانية في عهد السلطان أورخان (١٣٢٦ – ١٣٥٩م)

يعد أورخان المؤســـس الحقيقي للدولة العثمانية، فقد حوّلها من حكم قبيلة إلى دولة أخذت تؤدي دوراً خطيراً في حياة الإمبراطورية البيزنطية، سـقطت مدينة بورصـــة في يده دون قتال، وذلك بعد أن احتل القلاع المحيطة بها، وحاصرها عشر سنوات، فاستسلمت، وأسلم حاكمها (أفرينوس)، ودفن أورخان أباه عثمان فيها، ونقل عاصمة دولته إليها.

واصـــل فتوحاته غرباً ففتح مدينة نيقية (أزنيق) عام ١٣٣١م، ثم فتح نيقو ميديا (أزميد) عام ١٣٣٧ م، وبذلك يكون أورخان قد سـيطر على منطقة (بيثينا) كاملة، "وهي الأرض ما بين بحر مرمرة والبحر الأسـود"، وأصبح بذلك بحر مرمرة الخط الفاصل بين العثمانيين والبيزنطيين.

كانت الدولة البيزنطية في حالة من الضـعف سـمحت لأورخان بالتدخل في شـؤونها ، إذ وقف إلى جانب كانتاكوزين في صـراعه ضـد يوحنا باليولوغوس ونصـيره إستيفان دوشـان ملك الصـرب والبلغار، فوافق أورخان مســـاعدة كانتاكوزين مقابل زواجه من ابنة كانتاكوزين (ثيودورا) فوافق ، وتم الزواج ١٣٤٥م، فأرســـل قوة

عســـكرية ثبتته على العرش، واتفق الطرفان المتنازعان على المشـــاركة في الحكم، فأصـــبح للإمبراطورية إمبراطوران، وهذا مما زاد ضـــعف البيزنطيين، وذلك في مصـــلحة أورخان،وفي عام ١٣٤٩ هدد دوشـــان القسطنطينية رغبة منه في احتلالها قبل أن يصلها أورخان، فاستنجد كانتاكوزين بأورخان، فأرسل له حملة من عشرة آلاف جندي صدّوا دوشان.

وفي عام ١٣٥٣ تكرر هجوم البلغار؛ فاشـــترط أورخان للتدخل الحصـــول على قلعة (تزيمب) في تراقيا على الشـــاطئ الأوروبي، وتم قبول طلبه، وتمكن من صـــد الهجوم بقوة ٣٠ ألف جندي عثماني ولم ينســـحب العثمانيون من تزيمب، بل استقروا فيها وذلك يثبت أورخان أسس وقواعد الدولة العثمانية لخلفائه من بعده.